الاية على ان الايمان حصل بخلق الله فقالوا الايمان نعمة وكل نعمة فمن الله ينتج ان
الايمان من الله وايضا النعمة عبارة عن كل ما يكون منتفعا به واعظم الاشياء في
النفع هو الايمان فثبت ان الايمان نعمة والمسلمون مطبقون على قولهم الحمد لله
على نعمة الايمان والنعم اما دينية واما دنيوية اما النعم الدينية فهي اما معرفة
الحق لذاته واما معرفة الخير لاجل العمل به والنعمة الدنيوية اما نفسانية
واما بدنية واما خارجية وكل واحد من هذه الثلاثة جنس تحته انواع
خارجة عن الحصر كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقد
مرت الاشارة الى ذلك عند ذكر هذه الاية ولما كان اخلاصهم له مع
ادعائهم الوهية غيره امرا مستبعدا عبر باداة التراخي والبعد في قوله
تعالى ثم اذا مسكم اي اصابكم ادنى مس الضر بزوال نعمة مما
انعم به عليكم وقال ابن عباس يريد الاسقام والامراض والحاجة
فاليه لا الى غيره تجأرون اي ترفعون اصواتكم بالاستغاثة لما ذكر
في فطرتكم الاولية السليمة بانه لا ملجأ ولا منجا منه الا اليه ثم اذا
كشف سبحانه وتعالى الضر اي الذي مسكم عنكم ونبه على مسارعة
الانسان في الكفران فقال اذا فريق اي جماعة هم اهل فرقة وضلال
منكم اي ايها العباد بربهم الذي تفرد بالانعام عليهم يشركون
اي يوقعون الاشراك بعبادة غيره ليكفروا بما آتيناهم اي من
النعم تنبيه في هذه الاية وجهان الاول انها لام كي فيكون المعنى على
هذا انهم انما اشركوا بالله ليجحدوا انعمه عليهم في كشف الضر
الثاني انها لام العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون
لهم عدوا وحزنا والمعنى عاقبة امرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء
وكشفنا عنهم الضر والبلاء ثم انه تعالى وعدهم بعد ذلك بقوله تعالى
فتمتعوا اي باجتماعكم على عبادة الاصنام فهذا لفظ امر والمراد
منه التهديد كقوله تعالى قل آمنوا به او لا تؤمنوا وقوله تعالى فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر فسوف تعلمون عاقبة امركم وما ينزل بكم من
العذاب ولما بين تعالى بالدلائل الظاهرة فساد قول اهل الشرك والتشبيه
شرع في تفاصيل اقوالهم وبين فسادها بانواع الاول قوله تعالى ويجعلون
اي المشركون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم من الحرث والانعام
بقولهم هذا لله وهذا لشركائنا تنبيه الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون
عايد على الاصنام لا تعلم شيئا البتة لانها جماد والجماد لا علم له وقيل عايد
الى المشركين ومعنى لا يعلمونها انهم لا يعلمون انها آلهة فيعتقدون
فيها جهالات منها انها تنفعهم وتشفع لهم وليس الامر كذلك ثم اقسم
سبحانه وتعالى بنفسه على نفسه انه يسألهم يوم القيمة بقوله تعالى

تالله

تالله لتسألن سؤال توبيخ وفيه التفات من الغيبة الى الحضور وهو من بديع الكلام
وبليغه عما كنتم تفترون على الله من انه امركم بذلك تنبيه في وقت السؤال احتمالان
الاول انه يقع عند القرب من الموت الثاني انه يقع في الاخرة قال الرازي وهذا
اولى النوع الثاني قوله تعالى ويجعلون لله البنات ونظيره قوله تعالى
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا كانت خزاعة وكنانة يقولون
الملائكة بنات الله قال الرازي اظن ان العرب انما اطلقوا لفظ البنات على
الملائكة لاستتارهم عن العيون فاشبهوا النساء في الاستتار فاطلقوا عليهم
البنات قال ابن عادل وهذا الذي ظنه ليس بشيء فان الجن ايضا
مستترون عن العيون ولم يطلقوا عليهم لفظ البنات ولما حكى الله تعالى
عنهم هذا القول قال تعالى سبحانه وفيه وجهان الاول ان يكون المراد
تنزيه ذاته عن نسبة الولد اليه الثاني تعجب الخلق من هذا الامر والجهل
الصريح وهو وصف الملائكة بالانوثة ثم نسبتها بالولدية الى الله تعالى وقيل في
التفسير معناه معاذ الله وذلك مقارب للوجه الاول ولما ذكر الله تعالى
ما جعلوا له مع الغنى المطلق بين ما نسبوا لانفسهم مع لزوم الحاجة والضعف
بقوله تعالى ولهم ما يشتهون من البنين وقد يكونون اعداء لهم ثم انه
تعالى ذكر ان الواحد من هؤلاء المشركين لا يرضى بالولد البنت لنفسه كيف
يثبته لله تعالى فقال واذا بشر احدهم بالانثى اي اخبر بولادتها ظل
وجهه اي صار ودام النهار كله مسودا من الكآبة والحياء من الناس
واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتخجيل كما ان بياض الوجه واشراقه
كناية عن الفرح والسرور وهو كظيم اي مملوء غيظا على المراة ولا ذنب لها
بوجه والبشارة في اصل اللغة الخبر الذي يغير البشرة من حزن او سرور ثم خص
في عرف اللغة بالسرور ولا يكون بالخبر الاول فالمراد بالبشارة هنا الاخبار
كما مر وقول الرازي ان اطلاقه على الخير والشر داخل في التحقيق خلاف المشهور
يتوارى اي يختفي من القوم اي من الرجال الذي هو فيهم من سوء ما بشر به
خوفا من التعيير وذلك ان العرب كانوا في الجاهلية اذا قرب ولادة زوجة احدهم
توارى عن القوم الى ان يعلم ما ولد له فان ولد له ولد ابتهج وبشر بذلك
وظهر وان كانت انثى حزن ولم يظهر اياما يتردد ماذا يفعل بذلك الولد ايمسكه
اي يتركه بغير قتل على هون هوان وذل ام يدسه في التراب وذكر الضمير
في يمسكه ويدسه نظرا للفظ الولد او لكون الانثى ولدا كما علم مما مر قال ابن عادل
قال المفسرون كانت المراة اذا ادركها المخاض احتفرت حفرة وجلست فيها على
شفيرها فان وضعت ذكرا اظهرته وظهر السرور على اهله وان وضعت انثى
استاذنت مستولدها فان شاء امسكها على هون وان شاء امرها بالقائها في
الحفرة وردت التراب عليها وهي حية لتموت اه وعن قيس بن عاصم انه قال

Copyright King Saud University